**المحاضرة السادسة: المقاربة السيميولوجية**

1. **تعريف السيميولوجيا:**

السمياء أو السيميولوجيا أو السيميوطيقا عبارة عن تسميات لعلم جديد يهتم بدراسة أنساق التواصل اللفظية وغير اللفظية، ويعتبر النموذج اللساني هو النموذج المهيمن في الدراسات السيميائية نظرا للتطور الهائل في النظام التواصلي اللغوي والذي ساهم في عملية نقل المفاهيم اللسانية إلى النسق التواصلية الأخرى.

وإذا ما حاولنا البحث في مفهوم السيمياء، فإننا نجد العديد من التعريفات التي قدمها الباحثون لهذا التخصص المعرفي.

ويبدو أن تعريف مونان أوفى هذه التعريفات وأجودها، إذ يحدد السيميولوجيا بأنها "العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات (أو الرموز) التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس". وانطلاقا من هذا التعريف، يمكن أن نستخلص أموراً ثلاثة كالتالي:

إن السيميولوجيا علم من العلوم، يخضع لضوابط ونواميسَ معينة كما هو الشأن بالنسبة إلى العلوم الأخرى. وهذا ما تنص عليه الكثير من التعاريف (سوسير – تودوروف – بارث...). ولكن ثمة تعريفات وآراء أخرى تنظر إلى السيميولوجيا باعتبارها منهجا من المناهج، أو وسيلة من وسائل البحث. بحيث يشير مونان في موضع آخر إلى أن السيميولوجيا "وسيلة عمل" ((Instrument de travail، أي منهج من مناهج البحث. ومن هنا، نقف على شيء من الخلط في كلام مونان، فهو تارة يذكر السيميولوجيا على أنها علم عام يدرس العلامات المختلفة، وتارة يذكرها بوصفها منهجا بحْثيا. ونجد هذا الخلط بارزا عند بعض الدارسين العرب الذين يعرّفون السيميولوجيا بأنها علم أو دراسة (أي منهج) في الآن نفسه. يقول صاحبا دليل الناقد الأدبي مثلا : "السيميولوجيا (السيميوطيقا)، لدى دارسيها، تعني علم أو دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة". والسيميوطيقا عند شارلز ساندرس بيرس Charles Sanders Peirce "نظرية شبه ضرورية أو شكلية للعلامات". إذاً، فنحن أمام ثلاثة آراء، رأي يعتبر السيميائيات علما، وثان يجعلها منهاجا، وثالث يتخذها نظرية عامة.

إن السيميولوجيا تدرس العلامات وأنساقها، سواء كانت هذه العلامات لسانية أم غير لسانية. يقول لويس برييطو Luis J. Prieto إن السيميولوجيا هي "العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيّاً كان مصدرها لغويا أم سَنَنيا أم مؤشريا".

1. **مبادئ السيميولوجيا:**

**\_** التحليل البنيوي: تضمن السيميولوجيا في طياتها المنهج البنيوي القائم على مجموعة من المفاهيم الاصطلاحية ، والتي يعتمد عليها تفكيكاً وتركيباً، مثل: النسقية ، والبنية ، وشبكة العلاقات، والسانكرونية، والوصف المحايث.

**\_** التحليل المحايث: تبحث السيميولوجيا عن الشروط الداخلية المولدة للدلالة التي نبحث عنها، وذلك بغض النظر عن الحيثيات السوسيواقتصادية والسياسية المولدة للنسق.

**\_** تحليل الخطاب: السيميولوجيا تحاول البحث عن كيفية توليد النصوص ( على عكس لسانيات الجملة) وترصد اختلافاتها سطحيا ونقاط تشابهها ضمنيا.

1. **مقاربات التحليل السيميولوجيا:**

تتعدد المقاربات السيميولوجية بتنوع الأنساق الدلالية التي تعالجها، وسنقوم خلال هذا العرض بتقديم أهم المقاربات المستخدمة في التحليل السيميولوجي للنص والصورة.

\_ المقاربة التداولية: تعتبر المقاربة التداولية فرعا من اللسانيات الاجتماعية، وهو التيار الذي ظهر كرد فعل للانتقادات التي طالت اللسانيات الكلاسيكية التي كانت تهتم بالجملة وتركيبها، وبالتالي كانت تعتبر اللغة نسق مغلق عن ما يحيط بها في المجتمع.

ظهرت التداولية في ستينيات القرن الماضي ونظرت للغة نظرة نفعية (استخدامها وتداولها في التواصل) ويمكن تحديد أهم الخطوات المنهجية للمقاربة التداولية فيما يلي:

* التداولية من المستوى الأول: والتي تتم فيها الدراسة التركيبية والنحوية من خلال البحث في الأفعال وعلامات المتكلم والمتلقي، ومؤشرات الزمان والمكان، وكذا حروف الربط بين الجمل.
* التداولية من المستوى الثاني: ويتم من خلالها البحث عن الجمل ودلالاتها من خلال الاعتماد على نظرية لسانية (من اختيار الباحث)
* التداولية من المستوى الثالث: ويتم فيها التحليل انطلاقا من أفعال الكلام

\_ مقاربة رولان بارت:

تقوم مقاربة رولان بارت على الثنائية الشهيرة (التقرير والأيحاء) أو (التعيين والتضمين)، فبارت لا يعترف بوجود رسالة غير مشفرة خاصة إذا ما تعلق الأمر بما تبثه وسائل الإعلام والاتصال، ويسمى هذا البعد بالدلالة الأسطورية، حيث يطبق بارت النظام الدلالي على نظام الأساطير المعاصر الذي يختلف عن معنى الأسطورة القديم، ويرى أن المظاهر الثقافية التي تقابل البشر كل يوم تخفي وراءها مجموعة من البنى الأسطورية الدلالية التي تعكس أفكار المجتمع أو الطبقة التي تنتج هذه المظاهر.

ومن الناحية التطبيقية يمكن تحديد الخطوات المنهجية لمقاربة رولان بارت فيما يلي:

* مرحلة الوصف العام: وهي المرحلة التي يتم فيها وصف الإرسالية (الصورة)، ويعتمد العديد من الباحثين في هذه المرحلة على تقنية التقطيع التقني.
* دراسة المستوى التعييني (التقرير): ويتم خلال هذه المرحلة تحديد الدوال الأيقونية والتشكيلية واللغوية، والبحث في دلالاتها الظاهرية.
* دراسة المستوى التضميني (الإيحاء): ويتم خلال هذه المرحلة البحث في الدلالات الضمنية الموجودة في الصورة، أو ما يسمى بالأساطير الجديدة.

\_ مقاربة مارتين جولي: قدمت الباحثة مارتين جولي مقاربة لتحليل الأنساق البصرية وفيق مبادئ النظرية السيميولوجية، حيث استمدت مارتين جولي المبادئ الأساسية للتحليل من مقاربة رولان بارت وثنائية (التعيين، التضمين) وتتمثل أهم مراحل تطبيق هذه المقاربة فيما يلي:

1/ مرحلة الوصف العام للرسالة: يتم خلال هذه المرحلة تقديم وصف كامل للعناصر الموضوعاتية و اللغوية والبصرية للرسالة.

2/ تحليل الرسالة التشكيلية: الإطار، التأطير، زاوية التقاط الصورة، التركيب والإخراج، الأشكال، الألوان.

3/ تحليل الرسالة الأيقونية: وذلك من خلال مرحلتين

 أ/ مستوى الموضوعات: تحديد كل العلامات ذات الوظيفة المرجعية

 ب/ مستوى وضعية النموذج: يتم خلال هذا المستوى تحديد الدوال الأيقونية ومدلولاتها من المستوى الأول (التعييني) والمستوى الثاني (التضميني)

4/ تحليل الرسالة الألسنية وتحديد مدلولاتها ووظائفها

5/ المستوى التعييني: يتم في هذه المرحلة تحديد كل المعاني التضمينية المضمرة في الرسالة الإشهارية سواء من خلال الأنساق البصرية أو اللغوية.

\_ مقاربة كرستيان ميتز: قدم الباحث كرستيان ميتز مقاربة سيميائية لتحليل الأفلام السنيمائية من خلال خطوتين أساسيتين:

1/ تحليل شريط الصوت: ودراسة الصوت المنطوق، الصوت الأيقوني، الصوت الموسيقي، الصمت.

2/ تحليل شريط الصورة: يتم في هذه المرحلة تقطيع الفيلم إلى مشاهد ولقطات، ودراستها من خلال عناصر اللغة السينمائية ( الشخصيات، المواقع التصويرية، الديكور، المونتاج...الخ)